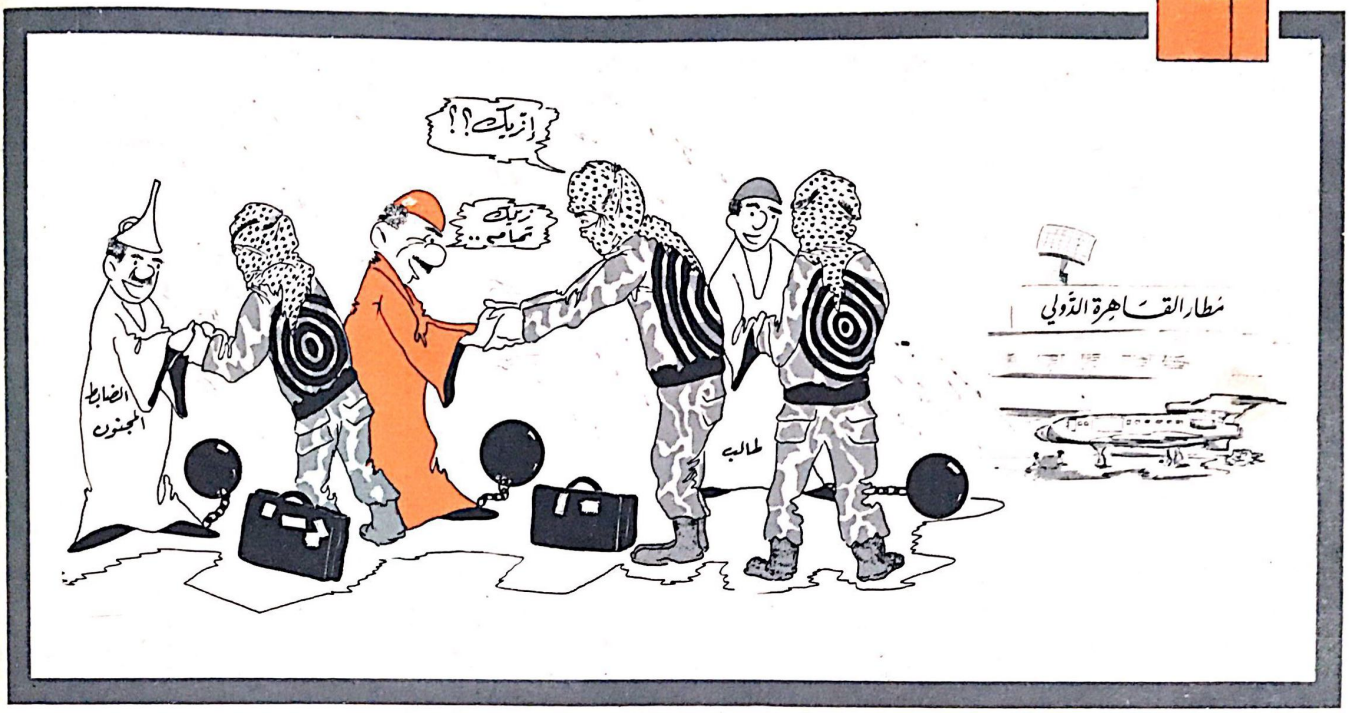

.. ويواصل (نجم) رحلته بين الجوع والزنزانة

ايتها الارض العربية الساخنة الى حد الغليان، الم يتعب ابناؤك بعد من رحلتهم الازلية بين الجوع والزنزانة .. ايتها الام الجريحة الشجاعة بورك نديك الذي لم يتعب لحظة من ارضاع افواهنا التي جففها عطش الكرابيج والركض الدائم بين طاولات التحقيق وممرات السجون الرطبة ، بوركت يدك الحانية التي لم تكف لحظة عن مسح دموعنا ودماءنا وبصاق « الاخرين » بين عيوننا .

« نجم » .. ابن مصر ، واحد من ابنائها « المشاغبين » « مثيري الفتنة » تعب اخيرا من جوعه واكلت رطوبة « العشه » مفاصله فتفضل عليه البوليس واعاده الى مقره الدائم خلف قضبان زنزانة اشك ان يكون بيته افضل منها .

هل يطمعونك يا نجم وجبة نابتة كل يوم .. كثر خيرهم ، يجب ان نحس بالامتنان نحو منقذيك فقد كانت مسالة التعامل مع الجوع من اجل الشبع واحدة من اهم المسائل التي تطالبك بحل ولو مؤقت ، اما اي شيء آخر فليس جديدا عليك ، اصبحت خبيرا ـ مثلنا كلنا ـ في اتقان بروتوكولات التحقيق وانكيت استقبال اللكمات والشتائم ، لكنك من القلائل فينا تملك ان تبصق في وجوه معذبيك فيتنفس الهواء كلماتك ، تخرج الى السجن الاخر الكبير فتصير شعارا ، ونصير هتافا .. هل اروع من الكلمة حين تولد في قلب زنزانة .

★ ★ ★

اعتقل احمد فؤاد نجم ، الشاعر الشعبي المصري ، ويوام الشيخ امام ، والثائر الذي لا يساوم .. ما الحكاية ؟!

الحكاية ان البلد
مش ملك ناسها
والحلاين في البلد
مش مالكه راسها
والبلد اصلا
بلدنا مش عليله
البلد علشا جايه
من خرسها

لكن الخرس يا نجم على ارضنا عمره ما كان وباء ، ربما كان مرض البعض ، لكنه لم يصبح بعد وباء ابدا ، الدم ، دمنا الجديد ، يتحرك « الصهوني فوق ترابي ، والمباحث على بابي » وكنت معهم ، ذلك لانك دائما معهم . اشعارك شعارهم ، وحماسك جزء مستعر من حماسهم ، والقضية واضحه ، انه التحرر من الخوف ، اليس التحرر من الخوف هو الخطوة الاولى والاساسية ، الا تذكر ذلك اليوم الذي كتب فيه الطلاب الشعارات ووقعوا باسمائهم الصريحة وعناوين بيوتهم على الجدران ، وهتفت لهم :

الخط دا خطي
والكلمة دي ليا

وها انت تحفر على جدران الزنزانة شعرا الى جانب اسم شهيد كتب اسمه بدم جرح فتحه في جسده الحوار الازلي بين الكرابيج وطاقة الرفض العاتية ، وحين يطلب منك « احدهم » ان تعلن « براءتك » لقاء اطلاق سراحك تهز كتفيك ساخرا وتصعقهم اجابتك المكررة « رجعني الزنزانة يا بيه » !

★ ★ ★

الفي القبض مرة على نجم والشيخ امام وسجنا في زنازين انفرادية ، عرفا بعد فترة انهما في زنزانتين متلاصقتين فابتكرا طريقة طريفة للاتصال ، يضع نجم اناء معدنيا على الحائط ويصرخ باشعاره فيسمعه الشيخ امام من الجهة الثانية بنفس الطريقة ، فيلحن الشيخ اشعار نجم ويعملا المستحيل من اجل ايصالها الى الخارج .. فتنتشر سريعه في صفوف الطلاب والعمال والاحياء الشعبية ، لكن رغم قسوة القيد على الشاعر والفنان ، كانا يرفضان كل عروض العمل في الاذاعة والتلفزيون مقابل التراجع عن خطهما ، وقد طلب اليهما مرة ان يكتبا رسالة الى رئيس الجمهورية ـ وليس استرحاما ـ لكنهما رفضا وفضلا السجن ، وكانا بمزحان ـ وكثير من مزحهما جاد ـ بان حياة السجن اوفر واكثر توفيرا لمتطلبات الحياة من خارجه .

★ ★ ★

« نجم » اشارة جادة تماما ومضيئة في عتمة النازلات والاقرار بالامر الواقع الذي يقع فريسته الكثير من ادبائنا وفنانينا ، فقد استطاعت السلطات في مختلف البلدان العربية ان تدجن العشرات من هؤلاء وفق دراسة نفسيه علمية دقيقه لتطلعات كل واحد منهم ، استوعبت في اجهزتها الحكومية الطاممين في المراكز والراغبين « بالاستقرار » ونهجت مع البعض الاخر ، الذي لم تغره المناصب والذي وجد في نفسه القدرة والرغبة في التحدي ـ نهجت معهم نهجا خبيثا ينتهي الى الاحتواء التام والمصادرة الكاملة ، فسياسة سجن الشاعر والكاتب وملاحقته صارت موضة قديمه جدا ربما تبع في الانظمة المعلنة لرجعيتها ، السياسة الجديده هي ان تقدم جائزه لمن يشتم السلطه ، وتصفق لشخص مسؤول مهم لعمل مسرحي ناقد جارح في نقده وان تساعد في طبع اعمال الشباب الرافضين ، والنتيجة مصادرة غضبهم ورفضهم وتجيير ممارستهم لصالح السلطة من خلال ادعاء الديمقراطية وافساح الحريات .

عندما كنا نناقش هذا الموضوع ، كان الادباء الشباب يطرحون كل احتمالات وخطط طوقهم ويصلون احيانا الى اعلان فشلهم في المجابهه ، وكنت اقول انه الالتزام هو الذي يحسم الموقف ، فالسلطه دائما تنفذ من ثغرة تردد الادب او الفنان وخوفه من تبعات الالتزام كالسجن والفصل والملاحقة .. وان كل رافض للالتزام يقدم ثغرة للسلطة تنفذ منها من اجل مصادرة رفضه وغضبه.

وياتي نجم ـ ظاهرة ايجابية صحية ـ تثبت ان المجابهة لا يقدر عليها الحاكمون بالثورة ، وان الانسان ـ والفنان خاصة ـ حين يحطم كل احتمالات احتواءه من قبل السلطه يبدا مشوارا طويلا بين التشرد والزنازين ، لكنه بالنتيجة لن يخسر سوى عبوديته ، لكنه يربح الكثير ، اليس اقل ما يمكن ان يربحه هو انسجامه مع مبادئه وليس في البارات ابدا نخطط للمواجهة وليس من خلال الكاس ابدا نتذكر قضايانا و ...

البلد مش عايزه تعده
وكل منهو بكلمتين
البلد عايزه المجاهده
باللسان وبالايدين
كلنا ومن غير معاهده
للبلد عليها دين
يكسونا ، يحسونا
يضربونا كرباجين
البلد سامعة وشاهده
وكل حرف نعاده مين

نازك